2000o115-0001a-7

المصدر : السفير التاريخ : Jan 15, 2000 اسم المؤلف : شمس ضحى

# عن مهى محمد كبريت التي كانت تحب السمك:
# حامل في شهرها الخامس تقف أمام المرآة ولا تصدق

الصورة الرسمية لمهى كبريت
Photos/2000/Jan2000/1948153530.JPEG

كانت أصواتنا قد بدأت تعلو ونحن نتحدث مع المؤيد محمد كبريت المعروف بلقبه أبو عبد، عن ظروف اختطاف ابنته مهى كبريت التي كانت حاملا في شهرها الخامس، مع زوجها حسين عثمان السوري الجنسية من منطقة وادي الزينة في 23 حزيران 1983.

ولا شك ان التفاصيل التي كان صوتها يعلو كما يحصل عندما تتذكر فجأة تفصيلا هاما كان الوالد البحري المتقاعد يسردها تسانده في تذكرها الإبنة غادة، تناهت الى سمع الوالدة في الغرفة الملاصقة، والراقدة في سريرها لأنها أجرت للتو جراحة في الرأس بعد فالج ونزيف في الدماغ، مما أجبرها على البقاء مستلقية على ظهرها عاجزة عن التحكم في حروف الكلام. لذلك ربماء أرسلت لنا إبنتها لتستدعينا الى حضرتها لأنها »بدّها تقلك شي«.

ندخل الغرفة الصغيرة التي يتوسطها سرير »موبيليا«. يلوح لنا وجه من تحت الأغطية الثقيلة، وكأن تجاعيده ليست إلا امتدادا لطيات الغطاء على بقية الجسد. تفتح الوالدة عينيها المملوءتين بالدموع. وتنظر الينا للحظة ثم تشرع بصياح مبهم يختلط بكلمات لم يكتمل نموها كما يفعل البكم. نهلع لإمكانية إصابتها بانتكاسة ما، ونكاد نحاول الفرار. لكن التوسل الذي ظهر في العيون مختلطا بمحاولاتها لقول شيء ما من خلال دموعها المنهمرة والمختلطة برذاذ الريق، سمّرنا في مكاننا.

نقول لها كلاما فيه حمد لله على سلامتها فتعاود همهماتها العالية. نلتفت الى الإبنة مستنجدين بها لمعرفة ماذا تقول، فترد غادة: »عم تقلك فتحت لها جروحاتها، لكنها مؤمنة ان مهى، بإذن الله سوف تعود«.

نعود لجلستنا مع الوالد وإبنته لنكتشف في سياق الكلام ان إيمان الوالدة بعودة إبنتها المخطوفة لم يكن دائما مستمرا. تقول غادة: »أنا لا أحس بأنها ميتة. حتى أمي كانت تقول لي في بعض المناسبات مثل رمضان: يا بنتي تعالوا نطلّع (نوزع) عن روحها لجيراننا. فأقول لها: لا يا أمي.. لا تقولي هيك. وأحيانا اخرى لأن مهى كانت تحب السمك كانت أمي تطعم أولاد خالتي اليتامى عن روحها. فأصرخ فيها: أوعا تقولي هالكلمة أختي

20000115-00016-M

مش ميتة.. مش ميتة«...

نقول في أنفسنا ان الوالدة تصرفت على هذا النحو ربما، لأنها كانت بحاجة الى الارتياح من ذلك الشعور الذي لازمها منذ اختطاف الفتاة. الشعور بالحيرة واللوعة لعدم التيقن من شيء. ولا نعرف لماذا نحس بأن الفالج كان بسبب عدم السماح لها بذلك.

نسأل غادة ما أن استقر بنا المجلس عن طفولتها وأختها، ربما في المدرسة، فترد: »أنا رحت على المدرسة، لكنها لم تكن من جيلي... فهي أكبر مني بكثير«. ثم تلتفت الى والدها صائحة: »بابا، هلق مهى أديش أكبر مني؟« يجيب الوالد: »بينهما ثلاثة أو أربعة أولاد. يعني ثلاث أو أربع سنين.. إيه.. لأن كل سنة بيجيني ولد«.

تتابع الأخت: »راحت مهى على المدرسة لكنها وصلت الى الخامس ابتدائي فقط.. وفي يوم جاءنا زوج خالتي الذي يعمل في كاراج حمص وحلب وقال للوالد: في شاب آدمي بدو يشوف بنتك بلكي بتعطيه إياها. فقال له أبي: خليه يجي. وصار النصيب. سكنوا بوادي الزينة«. يعترض الوالد: »لأ.. راحوا على سوريا«. فتصيح الفتاة: »لأ بابا.. كانوا بخلدة. طوّل بالك عم تضيعني. لما تجوزوا كانوا بخلدة عند بيت الجردي. اشتغل زوجها في كاراج حوالى سنتين. ثم ذهب الى وادي الزينة حيث عمل في معمل الحجارة عتالا لأنهم أعطوه معاشا أحسن. عندما خطفا، كان لهم في وادي الزينة ثلاث سنوات وشويه، وكانت في الشهر الخامس من حملها«.

يقول الوالد: »والله يا عمي، قعدوا في وادي الزينة عند محمد حيدر. جوزها فاعل (عامل مياوم). أنا قلت له: يا حسين الميليشيات حولك وحواليك بالمنطقة بياخذوك. لكنه قال لي: معلمي قوي هونه وأنا قوي... أعدت الكرة عليه لكنه لم يستمع لي. كان قد مضى على زواجهما خمس سنوات. ونحن، كنا معتادين ان نطلع »لعندها« كل يوم جمعة. البنت بتحب السمك، نأخذ معنا ثلاثة أربعة كيلو سمك.. اللي الله بيقسمو نأخذه لها. يوم الثلاثاء قلت لأم الأولاد: يا أم عبد. قالت لي: شو؟ قلت لها: رأسي مشغول على البنت لازم نطلع نشوفها. »حاصلو«، ركبنا وطلعنا. وجدنا غسيلها منشورا أمام المنزل. ولا أحد هناك. أنا أعرف أحد أخوة المعلم الذي يسكن هناك. قلت له يا أبو علي مهى وحسين وين؟«.

تقاطعه غادة: »لأ يا بابا.. قرعت الباب أولا«.. يهز برأسه كمن تذكر: »إيه.. قرعت الباب.. طلّت علينا جارة من بلكونها وهي تضع يدها على فمها بمعنى: أخفضوا صوتكم وارحلوا. قلت لأم العبد: أمشي.. أحسن ما يأخذونا نحنا كمان. ربنا يسرها.. مرت سيارة ركبنا ورجعنا«.

تفصل غادة الأحداث عندما نسأل عن سبب خطفهم: »لا نعرف. كان معهم أيضا شاب كان قد سهر ونام عندهم. كانوا نياما ولو كان زوجها مستيقظا لما استطاعوا ان يمدوا يدهم عليه لأنه قبضاي. دخلوا عليهم بالسلاح. فتحت لهم الباب كموها ووضعوا لها الإيشار (المنديل) على فمها وقيدوا يديها خلف ظهرها وادخلوها السيارة. الجارة كانت تشاهدهم من طاقة الحمام لكنها خافت ان تدب الصوت«.

نسألها ان كانت قد استغاثت، فتجيب: »أبدا بالاول ولا شي... لكنها عندما ركبت السيارة اخذت تضرب حالها وتصرخ: يا ماما الحقيني.. مش عاملة شي اتركوني. ليش آخذيني. بعد ذلك دخلوا على زوجها وضعوا المسدس في رأسه وأدخلوه السيارة«.

نسألها من الذي اخبرهم بهذه التفاصيل، فتقول: »لما طلعت الماما مع البابا واخذوا لها السمك يوم الثلاثاء، سمك من كل الانواع، رأوا الغسيل منشورا ولا احد، ظنت والدتي، لان »يد زوجها طويلة شوية« يعني انه يضرب. ظنت انها أسقطت الجنين فأخذها الى صيدا لعند الطبيب، لكن الجارة قالت لها: اسكتي يا أم عبد، بنتك اخذوها الميليشيات... يللا احملوا حالكم وفلوا«.

20000115.0001C-Z

يقاطعنا الوالد المنكوب وقد تغير تعبير وجهه في غفلة عنا الى اللوعة: »من بعد امرك.. اختصري شوية، لان الام مريضة.. نحنا عم نعطيك وبيهمنا نعطيك، لكني.. تعرفين المآسي.. عم تذكرينا وتريدين معرفة كل شيء من الأول للآخر.. وانا مريض منذ 28 يوما بالبيت.. خلص... حاصلوا: ما خلينا لا وزير ولا نايب«...

تتابع غادة: »عند فلان رحنا عند علان رحنا.. ظللنا نفتش عنها اكثر من ثلاث سنوات. قالوا لنا اخطفوا ناس مسيحيين وبادلوها .. احكي لها يا بابا لكننا لم نخطف. قالت الماما: انا بعد عندي شباب.. كيف بدي اخطف«...

يعاود ابو عبد الكلام مفتتحا بكلمته المفضلة: »حاصلو، رجعنا الى هنا. اتصلنا بمعلم حسين الذي يمتلك مكتبا للطيران على الروشة، »صار يمتع فيني« ساعة روح وساعة تعال.. صار يضحك علي.. وساعة »انهم« يطلبون نقودا.. بقينا على هذه الحالة حوالى الشهرين...«.

نسأله عن تاريخ ما يقول، فيرد انه لا يعرف. وعندما نستغرب، وتذهب غادة لتحري التاريخ من اختها عبير، يهمس الوالد لنا: »نحنا عامية يا بنتي ما منعرف«.. وعندما يبدو تعبير عدم الفهم على وجهنا يضيف بشيء من العصبية: »عاميه.. عامية.. يعني لا نقرأ ولا نكتب.. عم نحاكيك من صمصام قلبنا«.

يستأنف الرواية بعد حصولنا على التاريخ: »حاصلو. صرنا نروح ونجيء حتى عرفوا ان من اخذها يدعى... وين الحاجز المسمى نهر صيدا؟ كان هو هناك، المسؤول عن الحاجز.. قالوا لي اذا ذهبت اليه »وارضيته« سوف يعيدها لك. فقلت في نفسي ولماذا يريدني ان اذهب اليه؟ لو اراد النقود ارسلتها له ويرسل لي الفتاة! عرفت كيف؟ يعني كانوا يريدون ان يأخذوني ويأخذوا النقود. ان يجروني مع كيس المصاري. حاصلو: عندما لم يجدوا نتيجة من محاولاتهم معي، قالوا لي: إذن.. دبر حالك. لأنني كنت طبخة بحص. هذا ما حصل«.

ثم يفصل لنا الوالد وابنته متاهة اهالي المخطوفين المعتادة: قيادات حزبية ميليشياوية روحية لينتهي الامر بالمشعوذين والبصارين والنصابين الذين لا يتورعون عن اللعب بعواطف الناس المنكوبين والذين يتحولون الى بسطاء يصدقون اي شيء اي خبر عن احبائهم المختفين، حتى ولو كانوا وصلوا الى اعلى مراتب العلم. لكن احدى الروايات تستوقفنا: »من تسع سنين، تقول غاده، زار محل صهري للدواليب ضابط برتبة كولونيل وقال له: انت صهر بيت كبريت؟ بنت عمك حية وانجبت صبيا ومتزوجة من شخص مسيحي في المنطقة الشرقية!! نسألهم اذا كان هذا »الكولونيل« قد طلب نقودا، فينفي الوالد بشدة: »ابدا... مبين عليه ابن ذوات.. نحن عرفنا انه نازل في احد الفنادق، وذهبت اليه.. رجل محترم لا يعرف الكذب. قلت له: يا عمي، نحنا ما بدنا منك شي ولا اريد ان اسألك عن اسمك، لكننا جماعة، متعلقين بحبال الهواء. كل ما اريده هو ان تفيدني: موجودة؟ قال لي: موجودة وكانت حبلى وانجبت صبيا. لكن يا عم ارجوك لا تفتح سيرتي احسن ما يقتلوني ويقتلوك. كان ذلك بعد سنتين من خطفها«.

وبعد ذلك؟ يرد الوالد: »بعد حوالى اربع سنين. اوقفنا كل شيء.. زهقنا ومتنا من جوعنا، كل يوم مصروف حوالى 20 30 الف ليرة.. ايه شو؟ قلنا.. كتر خير الله. خلص«.

نسألهم عن رأيهم بالقانون الذي ترك حرية اعلان وفاة المخطوفين لاهاليهم، فتنتفض غاده: »ما منوفيها.. ما منوفيها. انا احس انها حية واتخيلها كما لو انها تقف امامي. وعندنا صبي وبنت.. لكنها خائفة!!.

يكمل الوالد صورة الحلم العائلي: »خائفة لانها اخذت (تزوجت) واحد مسيحي. قد تقول في نفسها ان اهلها سيقتلونها لو عرفوا.. او ربما الذي »اخذها« قوي جدا، وضاغط عليها او غسل لها دماغها«.

تعود غادة الى الكلام: »كانت كتير مبسوطة انها حبلى. كل ساعة تقف امام المرآة وتقول للماما: انا حبلى؟ انا

2000015-0001d_2

سيكون عندي ولد يقول لي يا ماما؟ قالت لها الماما: الله كبير«.

ثم تختم: »اخي اسمى ابنته على اسمها، اخي الاصغر.. سمى ابنته مهى لكي يرجع اسمها الى بيتنا«..

ننظر اليها وهي تتكلم ونحن نفكر هل اسم مهى هو كل ما سيرجع الى آل كبريت؟ في حين يقول الوالد: »الله يرضى عليك.. خلص«.

مهى وحسين اثناء خطوبتهما,

Photos/2000/Jan2000/1948153532.JPEG

الوالد ابو عبد كبريت,

Photos/2000/Jan2000/1948153531.JPEG

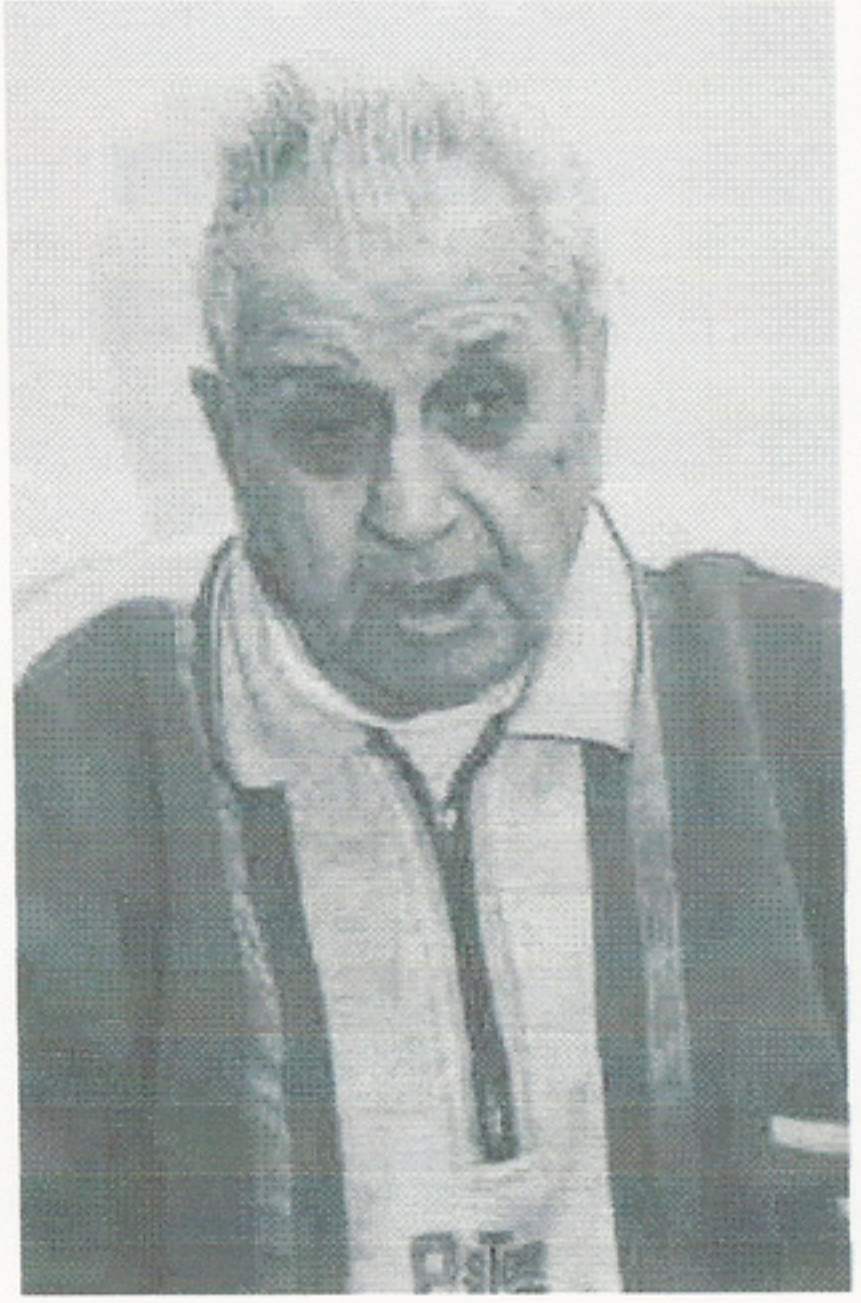

وصلات متاحة